سيناريوهات ما بعد الصدمة.. أيّ تأثيرات في مستقبل المعركة!

أحمد عبدالرحمن
كاتب ومحلل سياسي

تبدو فرص استعادة العدو الصهيوني جزءاً من ماء وجهه، الذي أُريق عند حدود قطاع غزة، شبه معدومة، حتى لو مارس كل أنواع القتل والإجرام بحق المدنيين العزل في قطاع غزة. فما جرى صبيحة السابع من تشرين الأول/أكتوبر الحالي يكاد يكون القشة التي قصمت ظهر البعير الإسرائيلي إلى الأبد، على الرغم من محاولاته المستميتة إصلاح بعض مما كُسر، وترقيع جزء مما فُتق.

وفي الحقيقة، على الرغم من مرور أسبوع على غزوة "طوفان الأقصى" الفدائية، والتي استهدفت فيها المقاومة الفلسطينية، بصورة غير مسبوقة، مستعمرات العدو ومواقعه فيما يُسمى منطقة غلاف غزة، وعلى الرغم من تطور الأحداث بصورة دراماتيكية، ولا سيما على صعيد ارتكاب قوات الاحتلال مجازر ومذابح ضد أهالي القطاع الصامد، راح ضحيتها حتى كتابة هذا المقال أكثر من ١٩٠٠ شهيد، وأكثر من سبعة آلاف جريح ومصاب، كانت حصة الأسد فيها من نصيب الأطفال والنساء وكبار السن، فإن مفاعيل هذه الهجمة ما زالت تتوالى وتتوسع، وتأخذ منحنيات لم يكن يتوقعها أحد.

منها على سبيل المثال لا الحصر، التدخل الفاضح، أميركياً وغربياً، إلى جانب العدو الصهيوني، وإمداده بالصواريخ والقنابل والطائرات المسيرة، وتشكيل غطاء سياسي وغطاء قانوني للإبادة الجماعية التي يقوم بها، بالإضافة إلى غياب شبه كلي للمواقف العربية والإسلامية الجادة، والتي يمكن أن تُفضي إلى وقف العدوان، أو تخفيف حدته، في أقل تقدير، باستثناء بعض المواقف الخجولة، والتي لا تكاد تصلح لتشكيل أرضية صلبة قد تؤدي إلى لجم الهجوم الإسرائيلي.

وبالتالي، في ضوء المعطيات القائمة، والتي تميل فيها موازين القوى لمصلحة حلف الشر والعدوان، بقيادة رأس الشر أميركا، وبدعم واضح ومكشوف من دول غربية وأوروبية، كانت على الدوام في صف أعداء الأمة، فإنه يمكن لنا أن نتوقع عدة سيناريوهات للمرحلة المقبلة، والتي يمكن لبعضها أن يشكل تغيراً جوهرياً في المستوى الجيوسياسي في المنطقة.

حملة جوية طويلة زمنياً

في ضوء سعي "إسرائيل" الواضح للانتقام والثأر مما جرى لجنودها ومستوطنيها في هجوم السبت الكاسح، فإن احتمال استمرارها في تنفيذ عمليات قصف جوي لمناطق واسعة وآهلة من أراضي قطاع غزة، مدةَ شهر أو أكثر، وما ينتج من ذلك من شطب لعوائل كاملة من صفحات السجل المدني، أمرٌ وارد بقوة، وخصوصا في ظل صمت مطبق، عربياً وإسلامياً، مقابل دعم قد يصل إلى حد المشاركة الفعلية من أميركا وشركائها.

هذا الأمر، الذي يترك آثاراً كارثية في مجمل الحياة في القطاع المحاصر، والذي يأتي في موازاته تشديد الحصار، وقطع الكهرباء والمياه والمواد الغذائية والضرورية، قد يبدو في مرحلة ما كافياً لنتنياهو وائتلافه لتسويقه على أنه رد ملائم لما جرى شرقي غزة، وأنه يصلح ليكون فصل الختام لمعركة خسرها الإسرائيلي من أول ساعة.

التوغل البري

نظراً إلى أن الضربة، التي وجهتها المقاومة إلى جيش الاحتلال، كانت قاسية وغير مسبوقة، والتي نتج عنها سقوط أكثر من ١٥٠٠ قتيل، و٣٠٠٠ جريح، وعشرات الأسرى، فإن احتمال أن يكتفي نتنياهو بعمليات القصف الجوي الموسعة وطويلة الأمد قد يبدو خياراً منطقياً، إذا إن تواصل ارتفاع أعداد القتلى والجرحى والأسرى في صفوف الجيش والمستوطنين قد يدفعه إلى تطوير الهجوم الجوي إلى توغل بري، يصل من خلاله إلى مسافة تتراوح بين خمسمائة متر وألف متر داخل حدود القطاع، ولا سيما من الناحيتين الشرقية والشمالية، إلى جانب تنفيذ عمليات إنزال بحري على طول شاطئ القطاع، على نحو يضمن تنفيذ عملية إطباق على المقاومين الفلسطينيين. وربما يتطور الهجوم، إن كانت الظروف مواتية، إلى توغل عميق، يتم من خلاله احتلال مفارق الطرق الرئيسة، وتقسيم القطاع إلى ثلاثة أو أربعة أجزاء، مع تنفيذ عمليات تهجير واسعة بحق المدنيين الفلسطينيين.

حرب إقليمية

بما أن محور المقاومة في المنطقة أعلن أكثر من مرة، كان آخرها يوم الجمعة على لسان نائب الأمين العام لحزب الله، الشيخ نعيم قاسم، أنه لن يترك المقاومة في فلسطين وحدها تواجه قوى الشر والعدوان، وأنه لن يخذلها ولن يتخلى عنها، فإنه يمكن لنا أن نتوقع توسع نطاق المعركة على المستوى الجغرافي، بحيث تشمل جبهات أخرى، تأتي الجبهة الشمالية على رأسها، وفي قلبها. وبالتالي، تذهب المعركة حينها إلى بعدها الإقليمي، والذي يمكن أن يغير قواعد الاشتباك بصورة جذرية، الأمر الذي يدفع الاحتلال إلى مراجعة حساباته وخياراته، على نحو يمكن أن يُوقف المعركة، أو يقصّر مدتها الزمنية.

صفقة شاملة

بحيث إن التداعيات الناتجة من معركة "طوفان الأقصى" كانت كبيرة وفارقة، ويحتاج الخروج منها إلى عمل كبير يُفضي، في مرحلة ما، إلى محاصرة تداعياتها، وتجاوز تأثيراتها، فإنه يرجَّح أن تذهب الأمور، بعد توقف القتال، إلى مفاوضات طويلة ومعقدة، يتم التوصل بعدها إلى صفقة شاملة، تتضمّن تبييض السجون الاسرائيلية من الأسرى الفلسطينيين، وإعادة إعمار قطاع غزة، ورفع الحصار عنه، مقابل إطلاق سراح الأسرى الصهاينة، وربما الوصول إلى تهدئة قد تصل إلى عشرة أعوام، في أقل تقدير.

وقد تبدو بعض السيناريوهات السابقة متشائماً منها بعض الشيء، وربما تبدو أخرى متفائلة، ولو بصورة حذرة، إلا أن المتأمل لمجريات الأحداث الجارية يجد أن النهاية الطبيعية للحرب القائمة يجب أن تكون في مصلحة قوى المقاومة الفلسطينية، التي اجترحت المستحيل في معركة "طوفان الأقصى"، وحقّقت ما لم تحققه جيوش كبرى، وقوى عظمى.

وعلى الرغم من حجم التضحيات الهائلة، والتي قدّمها الشعب الفلسطيني، وبذل فيها دمه وأشلاءه في مواجهة "دولة" الاحتلال، فإن النتائج المنتظَرة، نتيجة لهذه التضحيات، ستكون كبيرة جداً، تتجاوز كل ما تمّت مراكمته، خلال المواجهات الماضية.

> التداعيات الناتجة من معركة «طوفان الأقصى» كانت كبيرة وفارقة، ويحتاج الخروج منها إلى عمل كبير يُفضي، في مرحلة ما، إلى محاصرة تداعياتها، وتجاوز تأثيراتها

التحليل الإخباري

«طوفان الأقصى» تهدد بايدن بمصير انطوني ايدن

إيهاب شلوقي
موقع العهد الإخباري

قامت نظرية الأمن الصهيونية بطبيعة الأشياء وفقا للحاجة التي هي أم الاختراع، ولذلك أُسست على عامودين رئيسيين:

الأول: علاج الخلل الديموغرافي وقلة العدد وفقًا لمحيط معاد للصهاينة، وبالتالي تحويل الشعب كله إلى جيش مقاتل مع الحرص على امتلاك التفوق والأسلحة الفتاكة.

الثاني: علاج الخلل الجغرافي بامتلاك عمق صغير ومساحة جغرافية لاتقارن بمحيطها، وبالتالي السعي إلى نقل المعارك إلى أرض العدو وعدم السماح بانتقالها للداخل.

كما قامت على مبدأين رئيسيين أوصى بهما كبار رجال الأمن القومي وهما:

أولاً: الحرب الهجومية وعدم السماح بالوصول لإجراءات دفاعية.

ثانياً: عدم السماح بطول فترة الحرب والاعتماد على الحروب الخاطفة حتى تتحملها الجبهة الداخلية.

ومع كل تطورات المعارك والأحداث التاريخية ومستجدات توازن القوى، والمد والجزر الثوريين، ظلت النظرية تتمحور حول هذه الأعمدة والمبادئ منذ الصياغات الأولية التي دشنها بن غوريون لهذه النظرية.

والمراقب لخطط محور المقاومة، يلمح جيدًا تطوير المسارات التي تخرق هذه النظرية مثل مسار تطوير الصواريخ الدقيقة والحرب الالكترونية بهدف تقليص الفجوة التكنولوجية واختراق العمق الصهيوني والوصول إليه وهو نوع من أنواع نقل المعركة للداخل الصهيوني. وكذلك الحرص على امتلاك الأسلحة الهجومية وبناء ترسانة ضخمة من الأسلحة تسمح بالصمود وطول فترة المعارك واستنزاف العدو.

إلا أن التطور الجديد والذي حدث مع عملية طوفان الأقصى، قد يشكل نسفًا لنظرية الأمن الصهيوني بأكملها، حيث انتقلت المعركة مع العملية بشكل مباشر وعملي إلى العمق الصهيوني وبشكل هجومي أجبر العدو على ("الدفاع داخل عمقه") وبالتزامن مع ذلك، ارباك الجبهة الداخلية والاعتماد على وسائل استنزاف تطيل من أمد الحرب ولا تسمح للعدو بلملمة صفوفه والانقضاض لممارسة الحرب الخاطفة.

كل هذه الإجراءات التي فوجئ بها العدو نسفت نظرية الأمن لديه وهو ما تجلى في الارتباك والعصبية والتخبط، وتمثل بشكل أكبر وأكثر صراحة في الاعتراف الرسمي بأنه يعيش تهديدًا وجوديًا دفعه بالاستغاثة براعيه الأمريكي. لقد اختارت المقاومة أن ترد على تهديدات أمريكا ورسائلها التي تبعث بها في الكواليس، ولكن بشكل علني وعلى الملأ وعبر بيانات رسمية، حيث قالت المقاومة أنها لا تخشى أمريكا ولا حاملات طائراتها وأن هذا التواجد الأمريكي لن يثني المقاومة عن القيام بواجبها ولن يؤثر على القرارات التي تتوافق مع تشخيص المقاومة للمصلحة.

الوضع الراهن هو وضع للفرز انكشفت فيه جميع الأنظمة التي قالت إنها طبعت أو هادنت لصالح القضية، وفرز للشعوب التي ترى إبادة جماعية لأشقائها في غزة، وفرز للنفوس الحرة التي يجب أن تهب مع هذا الطوفان المقاوم لغسل سنوات الهوان والمذلة التي تكّبر وتجبّر بها هذا الكيان الهش وقد فضحته هبة المقاومين. لو أصرت امريكا على فرض هذا الكيان ودعمه في جرائمه والرهان على تصفية القضية، قد يكون لرئيسها مصير مشابه لمصير انطوني ايدن اخر رئيس وزراء للامبراطورية التي أفلت على ايدي المقاومة.

«طوفان الأقصى».. نتائج أولية

وسام اسماعيل
كاتب ومحلل سياسي

حتى هذه اللحظة، ما زالت قيادة الكيان الإسرائيلي تكابر في تعاطيها مع التحولات التي سببتها "طوفان الأقصى"، إذ إنها تحاول ترميم صورتها النفسية والعسكرية التي تهشمت مع سقوط نظريتها الأمنية على حدود غزة، فالتصريحات الإسرائيلية لم تخرج حتى اللحظة عن إطار الانتقام وإثبات تفوق "الجيش" الإسرائيلي من خلال ادعاء قدرته على توجيه المعركة وفق ما يناسبه، إذ تعمل على ضمان غطاء دولي يطلق يده في المعركة ويقيد أو يعرقل أي تدخل لقوى المقاومة إلى جانب الفصائل المقاومة في غزة.

وفي هذا الإطار، يظهر أن القيادة السياسية الإسرائيلية تستهدف تغيير عنوان المعركة بما يمكّنها من ادعاء تحقيق إنجازات تمحو الصورة السيئة التي رسمتها "طوفان الأقصى"؛ فمن خلال ذلك، يمكن لها أن تلتف على إنجاز المقاومة الذي تمثل بالعبور إلى الأراضي المحتلة وتوجيه ضربة قاسية إلى فرقة غزة والمستوطنين، لتحاول استعادة هيبتها الضرورية للحفاظ على مكانتها كشريك استراتيجي موثوق لدى الولايات المتحدة الأميركية من جهة، وضمان استمرار مسار التطبيع العربي معها من جهة ثانية، إذ إن قوتها وإمكاناتها الردعية كانت من أهم الدوافع لهرولة الأنظمة العربية نحوها.

وبدلاً من محاولة ترميم الردع من خلال العمل على إعادة الأمن إلى المستوطنات والتعاطي مع موازين القوى المستجدة بواقعية، رفعت القيادة السياسية سقف أهدافها إلى مستوى العمل على كسر المقاومة في غزة وفرض معطيات جديدة تترك أثراً لأكثر من ٥٠ عاماً، على حد زعمها.

وإذا كان هذا الهدف يدلّ على حجم الجرح الذي سببته قوى المقاومة في جسد الكيان ونفوس مستوطنيه وحلفائه في المنطقة والعالم، فإن في إعلان نتنياهو نيته تهجير كل سكان قطاع غزة إلى سيناء أو نيته الدخول في عملية برية يؤكد الجيش عدم قدرته على تحمّل وزرها، دليلاً على حجم تخبط القيادة داخلياً، إذ يمكن تقدير رفع سقف الأهداف في إطار محاولة تحشيد الدعم انطلاقاً من محاولة إثارة مشاعر مستوطني الكيان وسياسييه وغرائزهم.

وفي هذا الإطار، يظهر هذا التوجّه حنيناً إسرائيلياً إلى العودة إلى توازنات مرحلة ما قبل الطوفان، إذ كانت المعارك السابقة تتصف بمبادرة إسرائيلية وبرد فعل مقاوم يستهدف منع العدوان من تحقيق أهدافه، فكثافة النيران والتركيز على استهداف المدنيين الآمنين في القطاع يؤكدان مسعى الكيان للالتفاف على إنجاز الطوفان ومحاولة تحقيق ما عجز عن تحقيقه في معاركه السابقة.

وإذا كانت الولايات المتحدة الأميركية قد نجحت في تحييد معظم الأنظمة العربية عن قضية فلسطين، من خلال المساعي التي بذلتها لتطبيع علاقاتها مع الكيان الإسرائيلي، فإن موقف هذه الأنظمة الحيادي علناً والمتماهي إلى حد التضامن والتكافل المعنوي مع الكيان الإسرائيلي لم يقدم لهذا الأخير أي مساحة أمان إضافية.

وبالتالي، فإن نتائج الطوفان ستظهر حاجة الولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي إلى الدفع نحو تعميق التكامل الاستراتيجي بين الأخير وهذه الأنظمة؛ فنجاح الولايات المتحدة الأميركية في تكريس الانفصال بين أكثر الأنظمة العربية والمقاومة والتحريض على عزلها وإضعافها، وذلك من خلال التسويق لتبعيتها للجمهورية الإسلامية ومشروعها من جهة، وإغراء الأنظمة المطبعة باتفاقيات أمنية مميزة معها من جهة أخرى، لم يساعد في تقييد فصائل المقاومة أو ردعها. وبالتالي، سيدفع هذا الواقع باتجاه تشبيك العلاقة الأمنية بين تلك الأنظمة والكيان الإسرائيلي بشكل مباشر، بما يجعل انغماسها في أي مواجهة مستقبلية بين المقاومة والكيان أمراً ممكناً.

وبناء عليه، أظهرت "طوفان الأقصى" في نتائجها الأولية التي لن تتأثر بوقف إطلاق النار، الذي يظهر أنه لن يكون قريباً، انتفاء وجود منطقة رمادية تناور الأنظمة المطبعة من خلالها، إذ أضحى الموقف من المعركة الحالية والمقاومة في غزة بمنزلة صراط يفصل بين محورين.

أما الضغوط الأميركية التي مورست في الأيام الأخيرة من أجل ضمان عدم إطلاق أي موقف عربي تضامني مع غزة، وكذلك تجنب أي سلوك شعبي أو رسمي قد يُفهم على أنه موجه ضد الكيان، فإنهما سيؤسسان في المستقبل لمرحلة تظهر فيها العلاقة بين تلك الأنظمة والكيان أكثر تكاملاً واندماجاً، وذلك تحت رعاية أميركية مباشرة.

> أظهرت «طوفان الأقصى» في نتائجها الأولية التي لن تتأثر بوقف إطلاق النار، الذي يظهر أنه لن يكون قريباً، انتفاء وجود منطقة رمادية تناور الأنظمة المطبعة من خلالها